**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المحاضرة الاولى**

**أهمية الوقوف على الدراسات الاستشراقية**

تنبع الدراسات الاستشراقية التي تناولت الإسلام وقدمته وفق مناهجها وتصورها الخاصّ، من كونها أفرزت أسلوب (تعامُل) مع الإسلام، وأسلوب (خطاب)، كان وسيلة لرسم الشرق وتقديمه، ليس فقط للغرب ولكن لأهل الشرق أنفسهم. فمنذ بداية ظهور الاستشراق لم يكن اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم وليد الحاجة المعرفية والبحثية، بل كان نابعًا من الحاجة لمعرفة دين العدو المنافس، وهي حاجة محكومة باعتبارات دينية، تُشَيْطِنُ المسلمين وكتابهم ونبيّهم، وتنظر مسبقًا نظرة تكذيب وتشكيك بالقرآن والإسلام. ثم تَحَوَّل هذا الاهتمام -مع تغيُّر موازين القوى العالمية، وصعود أوروبا عسكريًّا وحضاريًّا- لحاجة المستعمِر الساعي للسيطرة إلى معرفة دين الشعوب التي يخطط لاستعمارها واستغلالها، حيث عمل على رسمها ثقافيًّا ومجتمعيًّا بما يتناسب مع أهدافه التسلُّطيَّـة.

وعندما شرع المستشرقون في دراسة القرآن دراسة بحثية لغرض معرفي سيطرَ عليهم ماضٍ ثقيلٌ وإرثٌ معرفيّ تعامَل مع الإسلام والقرآن من منطلق التكذيب والاستخفاف، ولم تنفع محاولة تلك الأبحاث في البُعد عن التشنُّج الديني والخبث الاستعماري، في تقديم منهج صحيح للدراسة؛ فقد تم التعامل مع القرآن على اعتبار أنه من تأليف النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، واتجه البحث إلى تاريخه ومصادره وأصل ألفاظه وطريقة جمعه وتدوينه وترتيبه...إلخ. فتم منذ البداية استبعاد إمكانية كونه وحيًا من الله، أنزله على نبيه محمد -عليه الصلاة والسلام- لتبليغه للعالمين.

وعندما أراد الباحثون الغربيون في العصر الحديث التخلص من إرث الاستشراق الثقيل لم يستطيعوا تنحية العقلية التي حكمت أسلافهم في تعاملهم مع الإسلام والمسلمين ودراساتهم للقرآن الكريم وعلومه. وتحوّلت الأبحاث الغربية في السنوات الأخيرة لترسيخ شَيْطَنة الإسلام، وتصوير القرآن على أنه يصدِّر العنف ويحضُّ أتباعه على القتل ونفي الآخر وقمع المرأة. كما انصبّت الدراسات الاستشراقية -في جانب مهم منها- على اللغة، ودُرِسَ القرآن باعتباره كتابًا لغويًّا نصيًّا، واستخدموا فقه اللغات لدراسة القرآن، واستغرقوا في البحث في أدق التفاصيل اللغوية فيه، محاولين إرجاعها إلى ما يتصورون أنه أصلها في اللغات الشرقية الأخرى، وهذا ما أدى إلى الوقوع تحت تأثير الحدس والتخمين القائم على استقراء مجتزأ، بعيدًا عن النتائج العلمية الموضوعية الواقعية الصحيحة.

وفي العصر الحديث ظهر باحثون دعَوا إلى تطوير مناهج البحث في الدراسات الإسلامية لتلافي مثالب المناهج البحثية القديمة، لكن مناهجهم الحديثة تصلح للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخية، ولا تُخْرِج نتائج بعيدة عن الإطار الحدسي التخميني الذي هو وليد نظريتهم الأزلية التي تنفي الغيب، وتتعامل مع القرآن على أنه نتاج بشري وليس وحيًا من الله.

المشكلة الآن ليست في الدراسات الاستشراقية بحدّ ذاتها رغم ما يعتريها من عوار منهجي وعلمي، لكن المشكلة تكمن في أن كثيرًا من الباحثين المسلمين؛ ونتيجة استلابهم المعرفي، وجدوا في هذه الدراسات ومناهجها أسلوبًا علميًّا لدراسة القرآن الكريم، وراحوا يروِّجون لاستخدامها بحجّة قدرتها على استنطاق النصّ؛ وهو ما أدى لانحرافٍ في فهم القرآن ودلالاته، ولقصورٍ في العمل على تطوير منهج بحثي صحيح للدراسات القرآنية.

يهدف هذا البحث لطرح مجموعة من الأسئلة التي ستساعد محاولةُ حلِّها على تقييم تلك الدراسات الاستشراقية ومدى صلاح مناهجها في دراسة القرآن.

**تعريف الاستشراق:**

الاستشراق (بالإنجليزية: Orientalism) **(اورينت الزم)** هي حركة فكرية وفلسفية أسسها البيروقراط في بريطانيا بغرض فهم ثقافات، فلسفات وأديان الشرق إبان الاستعمار البريطاني للهند في أواسط القرن الثامن عشر، توسعت حركة الاستشراق في الدول الاستعمارية كبريطانيا، فرنسا، وألمانيا، ودُرِست من قبل الأكاديميين في أروقة الجامعات والمعاهد العلمية بصورة أكثر منهجية، وشملت الشرق الأقصى والأدنى والأوسط بما فيها الدول العربية، ويُحسب لحركة الاستشراق العديد من الإنجازات كاكتشاف اللغة السنسكريتية، وهي لغة أري-هندية تربط الهند بأوروبا. الاستشراق كحركة بدأ لترسيخ الاستعمار البريطاني للهند، ولكن مع تطوره إلى فكر تأريخي يهتم بدراسة مكونات الشرق يُحسب للمستشرقين أنهم من منعوا مساعي بريطانيا لتحويل الهند لدولة مسيحية، المستشرق هو مؤرخ، ولا يتمتع كل المؤرخين بالموضوعية والنزاهة أثناء تناول تراث الغير، ولكنها حركة تأريخية لا تستهدف الأديان والأعراق، يعتبر العرب -خاصة رجال الدين- الاستشراق حركة استعمارية وتزييف للتاريخ الإسلامي، نظرًا لعدم تناول أغلب المستشرقين للتاريخ الإسلامي بصورة انتقائية تستبعد الجانب السيئ من التاريخ الإسلامي وتبرز الجيد.

مراحل الاستشراق

من أبرز المراحل الّتي يُقسّم إليها الاستشراق ما ذهب إليه الدّكتور المبروك المنصوري في كتابه «الدّراسات الدّينيّة المعاصرة من المركزيّة الغربيّة إلى النّسبيّة الثّقافيّة: الاستشراق، القرآن، الهويّة والقيم الديّنيّة»، إذ قسّم الاستشراق إلى ثلاث مراحل أساسيّة هي:

الاستشراق الاستعماري ( Orientalism): ويشمل كلّ ما أُنتج من بداية تشكّل هذا التوجّه مع الحركة الرّومانسيّة الغربيّة إلى حوالى 1960.

الاستشراق ما بعد الاستعماري (Post Colonial Orientalism): وهو التوجّه الّذي تشكّل في المرحلة ما بعد الاستعماريّة، ويرتكز أساسًا على الجانب الثّقافيّ واللّغويّ وقد تلبّس لبوسًا جديدًا.

الاستشراق الجديد (New Orientalism): وهو التيّار الّذي تشكّل في بداية هذا القرن، وقد دشّنه كريستوف لكسنبرغ بكتابه «القراءة السّريانيّة الآراميّة للقرآن».

**تاريخ الاستشراق:**

من الصعب أن نكون دقيقين عن أصل الفرق بين الغرب والشرق. لكن ازدهار المسيحية والإسلام خلق خلافا حضاريا كبيرًا بين أوروبا المسيحية والشرق وشمال إفريقيا الإسلامي. في العصور الوسطى كان الأوروبيون المسيحيون يرون المسلمين كأعداء لهم. وكان معرفة الأوروبيين للحضارات أبعد شرقًا من الشرق الإسلامي أكثر خيالاً. ولكن كان هناك معرفة قليلة للحضارات الهندية والصينية من حيث كان تأتي سلع غالية مثل السيراميك والحرير. وبكثرة الحملات الاستعمارية والاستكشافية صار هناك تمييز بين الحضارات الغير كاتبة، مثل في إفريقيا والأمريكيتين، والحضارات الكاتبة والمثقفة في الشرق.

في القرن الثامن عشر، لقد كان من مستشرقين عصر التنوير من لمح وشيد الكثير من جوانب الحضارات الشرقية كأحسن من الغرب المسيحي. مثلاً: فولتير روَّج البحث والدراسة عن الزرادشتية، في أنها ديانة تدعم الربوبية العقلانية أحسن عن المسيحية. آخرين مجدوا التساهل الديني في الشرق الإسلامي بدلاً من الغرب المسيحي، أو منزلة العلم في الصين والشرق عامةً. مع ترجمة الافيستا واكتشاف اللغات الهندوروبية، وضِّح الاتصال بين التاريخ الشرقي والغربي القديم. ولكن صار ذلك الاكتشاف في وسط المنافسة بين فرنسا وبريطانيا في الهيمنة على الهند، وكان الاكتشاف متعلق في فهم الحضارات المستعمرة كي يتحكم عليها المستعمر بسهولة. ولكن الاقتصاديين الليبيراليين مثل جيمس ميل ذم الأمم الشرقية بأن الحضارات تلك كانوا ثابتات وفاسدة أو فاسقة. حتى كارل ماركس وصف أسلوب التصنيع الآسيوي كرافضة التغيير. والمبشرين المسيحيين كانوا يثلبون الديانات الشرقية كمجرد خرافات.

**في المعنى الاصطلاحي:**

علم يقضي بمسائل الشرق ودراسة وتحليل واقعه، وبعبارة أخرى: هو الدراسات التي تتعلّق بالشرق. أمّا المعنى اللغوي للفظ (شرق) بالإنجليزية فهو والدول الشرقية تسمّى والإنسان الشرقي وكلّ من يبحث في تاريخ الشرق وأحوال أُممه يُدعى (بالإنجليزية: Orientalist) أو مستشرق.

كتب د. محمد صالح العمري من جامعة أكسفورد حول الموضوع بعنوان: "دراسة العالم العربي والإسلام بالولايات المتحدة وبريطانيا في اطار «الحرب على الإرهاب» وأهميتها في سياق الإستشراق الحديث.

**ظهور الاستشراق:**

يعتبر الاستشراق حديث الظهور إلاّ أنّ معرفة الشرق وما يتعلّق به من أفكار فذلك يعود إلى الأزمان الغابرة، ويؤيّد ذلك ما عثر عليه في التنقيبات من النقوش الأثرية على الأحجار، ثمّ تلت ذلك حركة الاستشراق في القرون الوسطى، لتؤكّد ذلك من خلال الوقائع التاريخية والنصوص الجغرافية، وكتب الأسفار وغيرها.

أمّا ما هو الزمن الذي أخذ فيه الاستشراق نموّه الحقيقي، وأصبح علماً يُدرّس، فيمكن القول: إنّ المساعي التي بذلها الباحثون من إيطاليا وبريطانيا والبرتغال لدراسة الشرق، كان في القرن **الخامس عشر والسادس عشر الميلادي،** وكان من بينهم توماس هربرت، استطاع الوصول إلى السواحل الجنوبية لإيران قادمًا من الهند، بالتنسيق مع السفير البريطاني آنذاك، فبدأ بكتابة بحوثه حول إيران والإيرانيين.

وفي **القرن السابع عشر والثامن عشر أخذ الاستشراق بالانتشار حتّى أنّ كتاب (**كلستان سعدي) طبع لأوّل مرّة في أوروبا في تلك الفترة.

ومنذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي أصبحت مدينتا لندن وباريس من المراكز الرئيسية في تدريس الاستشراق، ثمّ توسّع حتّى أصبحت أكثر البلدان الأوربية في الوقت الحاضر لديها معاهد خاصّة بتدريس الاستشراق بجميع أقسامه، وتخرّج في كلّ عام أعداداً كبيرة من الأساتذة، الذين يغذّون البحوث والدراسات في أوروبا في مجال الاستشراق.

**أقسام البحوث والتخصّصات:**

يمكن تقسيم البحوث التي كتبها المستشرقون إلى ما يأتي: التاريخ، الاقتصاد، الجغرافيا، اللغة، الآداب، علم الإنسان، الفنون، الأديان، الفلسفة، علم الآثار.

أمّا الفروع الموجودة في الجامعات الغربية، والتي اختصّت بدراسة تاريخ الأُمم السابقة وأحوالها، فهي: فرع دراسة المصريين" توسّع قسم دراسة أحوال المصريين حتّى شمل جميع أنحاء القارة الأفريقية"، فرع دراسة الآشوريين، فرع دراسة الإيرانيين، فرع دراسة العرب، فرع دراسة الأتراك، فرع دراسة الصينيين، فرع دراسة الهنود، فرع دراسة اليابانيين، فرع دراسة الساميين والسومريين.

**المستشرقون الحقيقيون:**

إنّ الذين جاءوا لدراسة الشرق كانوا أفراداً متفاوتين، فمنهم من جاء بلباس عسكري أو غير عسكري، أو بصفة أطباء أو معلّمين، لكنّهم في حقيقة الأمر قساوسة كان هدفهم التنصير بالدين المسيحي، وكانوا يتردّدون بكثرة على لبنان وسوريا ومصر. ظلّت حركة الاستشراق موضع شكّ لدى الكثير، وبسبب هذا الغموض انقسم الناس نحوها إلى فريقين:

الأول: ينظر إلى المستشرقين بعين الاحترام.

والثاني: ينظر إليه على العكس من ذلك، لأنّه كان من بينهم أُناس مهّدوا للاستعمار الغربي، وكانوا أداة لتسلّط الغرب على الشرق، كما لا يخفى أنّ منهم جماعة دفعهم شوق التعرّف على الشرق وأسراره، وتحمّلوا في سبيل ذلك كثيراً من الصعوبات والمشاق. وعلى أيّ حال مهما كانت الأغراض والدوافع التي دفعت للاستشراق، فإنّ الاستشراق شيء، والمستشرقين شيء آخر.

**الاستشراق الفرنسي:**

لوحة ساحر الثعابين لجان ليون جيروم: مثال بارز على الاستشراق الفني الفرنسي في القرن التاسع عشر

ظهر الاستشراق الفرنسي بقوة مع مطلع القرن السادس عشر واكتملت في ھذه الفترة ملامحه حیث یقول عنه روبیر منتران: "یمثل الاستشراق الفرنسي لوحة كبیرة رُسِمَت ملامحھا في القرن السادس عشر". وتعد المدرسة الاستشراقیة الفرنسیة من أھم المدارس الأوروبیة التي قامت بجھود جبارة حول الدراسات الشرقیة خاصة مع إنشاء "مدرسة اللغات الشرقیة الحیة" سنة 1795م والتي رأسھا المستشرق المشھور **سلفستر دي ساسي Sylvester de Sasi وكان ھذا المستشرق یعد عمید الاستشراق الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منافس**".

وقد ذكر إدوارد سعید في كتابه «الاستشراق» أن اھتمام فرنسا بالشرق بدأ مع حملة نابلیون على مصر وتوسعت دائرة الاستشراق الفرنسي «بعد احتلال تونس ومراكش إذ صار حتمیا التعرف على اللغة والتاریخ والدیانة فترجمت ونشرت نصوص عربیة كثیرة».

اهتم الاستشراقُ الفَرنسي... بالجوانب اللغوية والأدبية، واهتمَّت المدرسة الألمانية والفَرنسية أيضًا بتحقيق ودراسة المواضيعِ العلمية في الحضارة العربية. يمثِّل الاستشراق الفرنسي لوحةً كبيرة، رسمت ملامحها في القرن السادس عشر، وقد لعبت فرنسا دورًا هامًّا في الاستشراق، منذ تأسيس **مدرستي «ريمس» و«شارتر»** لتدريس اللغة العربية في باريس، وكرسي للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون، والتي ألحق بها معهد الدراسات الإسلامية، ومنذ الثورة الفرنسية 1789 أُنشِئت مؤسسة جديدة هي مدرسة اللغات الشرقية، وكانت اللغات التي تدرس - بموجب تلك المعاهدة - هي العربية الفصحى والعامية، وبوسعنا أن نعتبر أن العقدَ الأخير من القرن الثامن عشر انطلاقةٌ حقيقية للدراسات الشرقية الفرنسية.

بدخول القرن العشرين ظهر تحول واضح في الاستشراق الفرنسي؛ فقد سمح بإنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس، مما أدى إلى تجديدِ المواد المتنوعة والمتخصصة في الدراسات الاستشراقية، وظهر أساتذة متميزون؛ من أمثال: **«لويس ماسينيون»، «وليم مارسيه»، و«جورج مارسيه»، و«جان داني».**

**خصائص المدرسة الاستشراقیة الفرنسیة**

لم تكن المدرسة الاستشراقیة الفرنسیة بدعا عن باقي المدارس الاستشراقیة، من حیث الأھداف والخصائص العامة الا أن المدرسة الفرنسیة تمیزت ببعض الخصائص نظرا لسبقھا في مجال الاستشراق فقد «بدأ اھتمام فرنسا بطلب الثقافة العربیة مبكرا في مدارس الأندلس وصقلیة وبخاصة في القرن الثاني عشر، وساھم العرب والمسلمون في إنشاء المدارس المختلفة في فرنسا مثل مدرسة الطب في مونبلییه والتي أنشأتھا الجالیة الإسلامیة المغربیة 1220م».

فمن الخصائص التي تمیزت بھا المدرسة الفرنسیة نجد بأنھا "تمتاز المدرسة بالشمول والتعدد فھي لم تترك میدانا من میادین المعارف الشرقیة إلا وتناولته بحثا أو نقدا أو تمحیصا سواء من جانب اللغات وآدابھا أو التاریخ أو مقارنة الأدیان أو الآثار والفنون أو القانون.

فالمدرسة الاستشراقیة الفرنسیة كانت تحاول معرفة كل شيء عن الشرق وذلك راجع لأھدافھا الاستعماریة فھي لم تترك أي مجال من المجالات إلا وبحثت فیه وذلك من خلال إرسال مستشرقین ھدفھم تسجیل كل شيء عن البلدان المراد استعمارھا ولھذا نجد فرنسا من أكثر الدول الأوروبیة من حیث الدول التي استعمرتھا، إذ لعب الاستعمار الفرنسي «دورا في بناء نظریة الأيدیولوجیة الاستعماریة ومھد لھا سبل استعمار الشرق عسكریا وسیاسیا وفكریا».

مما جعل المدرسة الاستشراقیة الفرنسیة تتعرض للامتدادات الجغرافیة حتى یسھل علیھا عملیة السیطرة؛ وحتى تحكم السیطرة على الدول المستعمرة والاستفادة من مواردھا المادیة والمعنویة عملت على الاھتمام «كذلك بفقه اللغة العربیة ونحوھا ولھجتھا العامیة كما عملت على الدعوة إلى تمجید العامیة ومحاولة إحلالھا بدیلا للفصحى»، ولم تھتم باللغة العربیة الفصیحة فقط، بل درست تراث الكثیر من الدول «لم تقتصر ھذه المدرسة على دراسة تراث العرب فحسب ولكنھا تناولت تراث الفرس والأتراك أیضا».

الاستشراق الإيطالي

ترتبط إيطاليا بروابط تاريخية وجغرافية وثيقة بالشرق منذ قرون سحيقة، تلك الروابط التي تأرجحت بين مد وجزر وبين السعي في تحقيق أهداف سياسية واستعمارية، وعلى الرغم من غلبة هذه الأهداف على الاستشراق الإيطالي فإنه قد صاحبه في نفس الوقت اهتمام علمي واضح. بدأت الجامعات الإيطالية تهتم بالدراسات الإسلامية فقامت جامعة بولونيا سنة 1076 بالاهتمام بالعلوم العربية وتلتها جامعة نابولي عام 1224 ثم جامعات مسينا وروما وفلورنسا وبادوا ثم أخيرا الجامعة الغريغوري التي اعتنت بصورة خاصة بالدراسات الإسلامية ويبدو أن أول إيطالي تعلم اللغة العربية وعني بدراستها هو: جيراردو دا كريمونا (1114 ـ 1187).

ومن الإيطاليين نجد أيضاً توما الأكويني (1225 - 1274) الذي اهتم بالدراسات الفلسفية وخاصة الفلسفة العربية إذ قضي جل حياته باحثا فيها وساهم في نشر الفلسفة الرشدية على الرغم من محاربته إياها، ويمكن لنا إيجاز أهم خصائص هذه المدرسة في الآتي:

بدأت لتحقيق أغراض دينية ثم تطورت لتحقيق أغراض تجارية وسياسية واستعمارية.

التركيز على الدراسات العربية والإسلامية

الاهتمام بجمع المخطوطات العربية النادرة

الاستشراق الهولندي

يذكر الدكتور قاسم السامرائي في كتابه (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية) أن الاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق الأوروبي في أنه انطلق مدفوعاً بالروح التنصيرية، وأن هولندا كانت تدور في الفلك البابوي الكاثوليكي، وقد اهتم المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها كما اهتموا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة بريل التي تولت طباعة الموسوعة الإسلامية ونشرها في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة الكثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين. وأسست هولندا معاهد متخصصة من أهمها المعهد الملكي للغات والمعهد الشرقي لدراسة الشرق والإسلام وزخرت هولندا بالمكتبات الغنية بالتراث الإسلامي مثل مكتبة جامعة ليدن Leiden التي تضم نفائس المخطوطات ومكتبة المجمع الملكي في أمستردام ومن أهم مستشرقي هذه المدرسة إربنيوس - الذي يعد مؤسس النهضة الأستشراقية بعد تأسيسه المطبعة العربية الشهيرة (بريل)-ومن أبرز المستشرقين الهولنديين سنوك هرجرونيه (1857م - 1936م) الذي ادعى الإسلام وتسمى باسم الحاج عبد الغفار وذهب إلى مكة المكرمة ومكث ستة أشهر حتى طردته السلطات من هناك، فرحل إلى إندونيسيا ليعمل مع السلطات الهولندية المحتلة لتدعيم الاحتلال في ذلك البلد الإسلامي، ومن أعلام الاستشراق الهولندي أيضا دي خويه (1836م - 1909م)وكذلك المستشرق فنسنك والمستشرق دوزي الذي يعد أشهر مستشرقي هذه المدرسة مؤلف كتاب تاريخ المسلمين في أسبانيا وناشر كتاب «البيان المُغْرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب» وقد خلّف العشرات من الكتب المؤلفة والمحققة حول العربية والإسلام ونجد أيضاً فنسنك vensinek واضع الأساس الأول للمعجم المفهرس لألفاظ العربية وصاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وله كتاب في العقيدة الإسلامية، وقد تولي تحرير دائرة المعارف الإسلامية وكانت له فيها مقالات قيمة، وذكر الدكتور السامرائي أن الاستشراق الهولندي شهد في السنوات الماضية ظهور تيار من المستشرقين الشباب الذين يميلون إلى النظرة الموضوعية إلى الإسلام وقضاياه وهذا ما أثار حنق وغضب المستشرقين الأكبر سناً، ولهولندا مركز للبحوث والدراسات العربية والإسلامية في مصر. ويوجد في هولندا عدة كراس للغات الشرقية في كل من جامعات ليدن Leiden وأمستردام وأوترخت مما ساعد على إيجاد أجيال من المستشرقين في كافة ميادين المعارف الشرقية.

الاستشراق الروسي

نظراً لقرب روسيا النسبي من الشرق، فقد تمكنت من ربط أواصر العلاقات مع هذه المنطقة منذ زمن مبكر من التاريخ وكان الاستشراق قوياً في روسيا منذ عهد بعيد حيث تعود الصلات بين روسيا والعالم الإسلامي إلى زمن الدولة العباسية، حيث تبادلت الدولة الإسلامية السفارات مع روسيا، ولمّا ضمت روسيا إليها بعض المناطق الإسلامية ازداد الاهتمام بالإسلام والعالم الإسلامي، وقد أفادت روسيا من الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا وبخاصة في فرنسا حيث أوفدت روسيا بعض الباحثين للدراسة في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس. وازدادت عند تأسيس الإمبراطورية العثمانية التي تتاخم الحدود الروسية مباشرة ونتج عن ذلك وجود علاقة تراوحت بين المد والجزر والصداقة والعداوة وحقيقة الأمر أن الصراع بين روسيا وتركيا كان صراعاً سياسياً حول شبه جزيرة القرم وتوسيع النفوذ السياسي على البحر الأسود ولكن هذا الصراع لم يكن يوماً بدافع ديني أي من منطلق العداء بين المسيحية الشرقية والإسلام ولطالما اعتبر الروس أنفسهم شرقيين. وفي هذا نرى أن العالم العربي، الإسلامي، كان خارج دائرة هذا الصراع وبالتالي لم يكن هناك صدام بين روسيا والعرب المسلمين، ولم تتواجد الجيوش الروسية في أي زمان على أراضي العالم العربي الإسلامي، وإذا تواجدت فكان ذلك بدافع تقديم المعونة لبعض الحكومات القائمة ففي أيام محمد علي، عندما أرادت إنجلترا أن تحتل الشواطئ المصرية، أرسلت الحكومة القيصرية الأسطول البحري الروسي، الذي اعترض محاولة إنزال مشاة البحرية الإنجليزية في الإسكندرية، ولذلك فإنه يمكننا القول بأن من أسباب تميُّز الاستشراق الروسي عن الاستشراق الأوروبي الغربي، إنه لم يصدر عن مثل أرضية العداء بين الغرب والشرق الإسلامي، وإنما كان هذا الاستشراق بدافع الفضول المعرفي الإنساني.

شجعت الحكومات الروسية في العهود المختلفة دراسة التراث العربي الإسلامي وخاصة ذلك الذي يتعلق بالأقاليم الإسلامية الواقعة تحت سيطرت روسيا وذلك لتوسيع المعرفة بالشعوب الإسلامية، وكانت المصادر الثقافية العربية تشكل ركناً أساسياً من مصادر معرفة شعوب القوقاز وآسيا الوسطى وحتى الروس، هذه المعرفة التي انعكست بشكل إيجابي لمصلحة روسيا كما يعترف بذلك المستشرقون أنفسهم كنا نعيش جنباً إلى جنب مع شعوب آسيا الوسطى لمدة طويلة الروس أنفسهم يرون أن التراث الشرقي الإسلامي هو جزء من تراثهم. فيقول المستشرق بلوندين نحن الروس، وجميع الذين في الساحة الروسية القيصرية السابقة، نحن شرقيون بأنفسنا، وجزء من أراضينا موجود في آسيا، وثلثي حدودنا مع دول آسيوية مثل تركيا والصين، وكذلك المناطق الإسلامية التي كانت قديماً ولايات للخلافة العربية وكانت أول مطبعة عربية قد أسست عام 1722 في مدينة سامارا علي الفولجا وكانت تقوم بطبع الكتب الدراسية وفي عام 1754 طرح لومونوسوف مسألة تأسيس كلية اللغات الشرقية وفي عام 1763 صدرت أول ترجمة روسية لكتاب الف ليلة وليلة وكان لأنشاء كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الروسية أثره في نشأة وتطور المدرسة الاستشراقية فأنشأت جامعة خاركوف عام 1804 كرسياً لتدريس اللغات الشرقية وجامعة قازان لتدريس الألسنة 1811م ويذكر المستشرق الروسي الشهير الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي Kratchkovski أن تاريخ «الاستعراب» الروسي، يبدأ من المرسوم الجامعي سنة 1804 لأن هذا المرسوم أدخل تدريس اللغات الشرقية في برنامج المدارس العليا وأسس الأقسام الخاصة لهذه اللغات، وأما اللغات الشرقية في أوروبا الغربية في ذلك الزمان، فقد كانت المكانة الأولى بين اللغات السامية اللغة العبرية، أما في روسيا، فاللغات الشرقية في مفهوم الروس، كانت لغات الشرق الإسلامي، وشغلت اللغة العربية المكانة الأولى وقد أُنشأ قسم اللغة العربية في جامعة خاركوف بعد صدور المرسوم في عام 1804م مباشرة.

لقد كان للاستعراب الروسي منذ البداية مدرستان متمايزتان، ارتبطت إحداهما بوزارة الخارجية الروسية، وقد ساهمت هذه المدرسة في خدمة القرار السياسي والمصالح الروسية الخارجية وكان هناك أيضاً في روسيا اتجاه للدراسات الشرقية لأغراض سياسية، مع تعصب ديني، ولكن في نفس الوقت. كان هناك من هو ضد هذه التيارات المتعصبة وضد الدراسات الشرقية الكنيسية غير الممتدة إلى وقائع تاريخية ثابتة، ونحن لا نرى هذا في أي دراسات شرقية خارج روسيا والمدرسة الأخرى حملت الطابع المعرفي العلمي البحت، وحرص المستعربون فيها على استقلالية عملها وقد نشأت هذه المدرسة وما زالت في بطرسبورج، حيث بذلت جهود كبيرة من قبل العلماء في بطرسبورج لتحقيق درجة من الاستقلال المهني ونشر الدراسات بعيداً عن التوجه السياسي.في بداية الاستعراب الروسي، وتمت الاستعانة بعلماء من الغرب، كما كان الشأن بالنسبة للمجالات الأخرى المختلفة، فعندما بدأ القيصر بطرس الأول الإصلاحات في السياسة والعلوم والجيش ومختلف أوجه الحياة في روسيا، استعان بالخبرات الأوروبية من فرنسا وألمانيا وإنجلترا، ولكن «الاستعراب» الروسي مالبث أن أخذ بتكوين نفسه معتمداً على المصادر الشرقية الإسلامية مباشرة، بداية من خلال التبادل الثقافي الذي جرى والمعايشة المباشرة للموظفين والعسكريين الروس في مناطق الفولجا والبحر الأسود والقوقاز وآسيا الوسطى، ووصف هؤلاء هذه البلاد في الكتب والصحف شعراً ونثرا، ً إضافة إلى توافد أبناء هذه المناطق إلى بطرسبورج وموسكو وتعلمهم في جامعاتها ومعاهدها، وقد كان هؤلاء الوافدين يعكسون قوة تأثير الثقافة العربية الإسلامية فإن قوة تيار التراث العربي القديم في القوقاز استطاعت أن تحمل حتى أيامنا، اللغة العربية الفصحى التي لا تستخدم في التخاطب العام في موطنها في البلاد العربية، أما في شمال القوقاز فقد عاشت اللغة العربية حياة كاملة لا في الكتابة فحسب، بل وفي الحديث أيضاً. لقد كان للشعوب الإسلامية في وسط آسيا واحتكاكها المباشر مع الروس دوراً كبيراً في الاستعراب الروسي، إذ ساهمت في نقل الثقافة العربية الإسلامية مباشرة إلى الاستعراب الروسي دون المرور بالمصفاة الأوروبية الغربية ولقد صب التراث العربي الإسلامي مباشرة في مجرى الاستعراب الروسي دون تشويه أو إنشاء أو أسطرة صور وهمية عن الشرق العربي المسلم، وقد ساهم وجود المستعربين من العسكريين في القوقاز في ترجمة العديد من الآثار الأدبية العربية الإسلامية، إذ قام الجنرال بوجوسلافسكي بترجمة القرآن الكريم من العربية إلى الروسية مباشرة ومن المستشرقين الروس كاظم بك الذي دخل الإسلام وقام بتحقيق مخطوطة اليعقوبي وكذلك رازين الذي يعتبر متخصصا في اللغتين العربية والفارسية ونجد أيضا كريمسكي (1871م - 1941م) الذي تعلم العربية والفارسية وأسس مكتبة كبري في جامعة موسكو.

ومن أشهر المستشرقين الروس كراتشكوفيسكي Kratchkovski الذي شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين ودراسة اللغة العربية وذهب إلي الشرق فزار مصر وسوريا وفلسطين، فأطلع علي خزائن كتبها وتعرف إلى علمائها وأدبائها، ثم عاد إلي بلاده وعين أستاذا للعربية وثمة رأي يقول أنه كان مكتشف الأدب العربي الجديد بالنسبة للغرب ويمكن لنا إيجاز أهم خصائص هذه المدرسة في الأتي:

الاهتمام بالأدب العربي بصفة خاصة.

التذبذب الواضح بين الموضوعية الجادة والعداء السافر.

الاستعانة بسكان آسيا الوسطى في مجال الاستشراق.

البعد عن الأغراض الدينية بل بث الأفكار الاشتراكية ومحاولة إيجاد قدم لها في الشرق.

تميزت بالاهتمام بتصنيف المخطوطات وفهرستها.

أهداف الدراسات الاستشراقية

من الواضح أن أبرز هدف للمستشرقين من دراساتهم هو:

1. "إضعاف مُثل الإسلام وقيمه العليا من جانب.
2. وإثبات تفوق المثُل الغربية وعظمتها من جانب آخر
3. وإظهار أية دعوة تدعو للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر"

**وهناك أهداف أخرى يمكن تلخيصها في الآتي:**

1. **إنكار أن يكون القرآن الكريم كتابـاً سماوياً منزلاً من عند الله سبحانه وتعالى،** وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسولٌ، أي أنه صلى الله عليه وسلم كاذب، وأن القرآن من تأليفه وحده أو بمعاونة آخرين، ومن ثم فهو كتاب بشري، وهذا الافتراء سبق وأن جاء به المشركون من قبل، فقد قالوا عن الوحي:
2. إنه أضغاث أحلام، وتارة قول شاعر، وتارة قول كاهن، وتارة قول شيطان، وتارة قول بشر، وتارة أساطير الأولين، وتارة إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، ومن ثم تتعدد وتتنوع أوصافهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو مجنون.

وكل هذه التفسيرات والأوصاف المفتراة قد أوردها القرآن الكريم في آيات عديدة:

**• ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: 5].**

**• ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة: 40 - 43].**

**• ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ \* وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ \* وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [التكوير: 22 - 25].**

**• ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ \* إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: 24، 25].**

**• ﴿ وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ \* لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ \* إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾ [الحجر: 6 - 9].**

**• ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: 4، 5]**

**• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: 24].**

**2- يعتبر إنكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وسماوية القرآن، وإنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله، وإنما هو ملفق - عندهم - من الديانتين اليهودية والمسيحية.**

**3- التشكيك في صحة الحديث النبوي.**

**4- التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي الذاتية.**

**5- حرصاً على تمزيق الوحدة اللغوية في الأمة الإسلامية من أجل تمزيق عقيدة الأمة ووحدتها؛ صب المستشرقون وعملاؤهم أشنع الاتهامات على اللغة العربية، فزعموا أنها عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة المعاصرة، وموكب العلم الحديث، مع أن هذه اللغة أقوى لغات العالم في توليد الألفاظ والكلمات اللازمة للمعاني المستحدثة بالبحث والاشتقاق، والقلب والإبدال والتعريب[2].**

لذلك ركز المستشرقون طعوناتهم في حيوية هذه اللغة وروجوا لغيرها من اللغات بأساليب متعددة منها:

**أ) زعمهم أن اللغة العربية اقتبست كلمات عربية من لغات قديمة متنوعة، ما يدل على قصورها في تلبية حاجات الشعوب، والمعروف أن الشعوب تتأثر ببعضها ثقافة وحضارة.. إلى غير ذلك من الأمور؛ لذا فأمر طبيعي انتقال بعض المفردات من أمة إلى أخرى، كما هو ملاحظ اليوم بين شعوب الأرض قاطبة.**

**ب) زعمهم أن اللغة العربية عسيرة التعلم، لذا تبنوا الدعوة إلى اللهجة العامية؛ ليجمدوا تقدم العربية وتمكنها من نفوس المسلمين فيضعف فهمهم للقرآن الكريم.**

**ج) الدعوة إلى إحياء اللغات القومية لكل جنس كالفارسية، والتركية، والأردية، والكردية، والبربرية.. وغيرها كما في العراق (كردستان)، والجزائر.**

6**- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان.**

**7- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم.**

**8- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم.**

**أثر الدراسات الاستشراقية في الدراسات الإسلامية**

**من الصعب علينا أن نغفل الآثار المباشرة وغير المباشرة للمناهج الاستشراقية في الدراسات الإسلامية، سواء في مجال التحقيق العلمي للنصوص، ونشر المصنفات التراثية في مختلف العلوم الإسلامية، أو في مجال التأليف المعجمي والموسوعي، وبخاصة في الدراسات القرآنية والحديثية والدراسات اللغوية. ومن الطبيعي أن تختلف نظرة المستشرقين عن نظرة العلماء المسلمين نظرا لاختلاف المنهج المعتمد في الدراسة، واختلاف الأهداف والغايات والمنطلقات. وهذا الاختلاف أمر حتمي، لأن الاستشراق كظاهرة ثقافية نمت في ظل ظروف تاريخية، كان الصدام قويا وعنيفا بين ثقافتين، تشكل كل منهما كيانا متميزا، وكان الاستشراق وليد ذلك الصدام، لمعرفة الغرب بحقائق الإسلام ومكوناته، فالإسلام كان ذلك الآخر الذي أراد الغرب أن يكشفه، لا رغبة في المعرفة العلمية المجردة، وإنما لكي تكون المعرفة أداة للتعامل معه بطريقة ميسرة وهادفة.**

**ولم يستطع الاستشراق أن يتعامل مع الثقافة الإسلامية من منطلق موضوعي، كما تعامل مع الثقافات الشرقية الأخرى لوجود موروث تاريخي في الوعي الذاتي للشخصية الغربية التي تنظر للإسلام بنظرة متعالية، ابتدأت منذ ذلك الصدام القوي بين الإسلام والغرب على امتداد تاريخ طويل، في معاقل الثقافة الغربية، وأدت فيما بعد إلى حروب صليبية ما زالت حتى اليوم تلهب المشاعر بعواطف الكراهية.**

**والمستشرق كما جاء في «قاموس اكسفورد الجديد» هو «من تبحر في لغات الشرق وآدابه»، وأطلقت على من تخصص في فقه اللغات الشرقية، وكانت غاية الاستشراق في البداية محاولة استكشاف ذلك الآخر، والآخر بالنسبة للغرب هو الشرق، بكل ثقافاته، ولغاته، وتقاليده، وتراثه، وعقائده، وبدأ الاستشراق كحركة ثقافية ذات طبيعة استكشافية لمعرفة الغرب بالشرق، وركز الاستشراق اهتمامه بالمنطقة الجغرافية التي تمثل العالم الإسلامي، وأخذ ذلك الموروث التاريخي يستيقظ وينمو في أعماق الشخصية الغربية، وبخاصة بعد أن أصبح العالم الإسلامي مثقلا بتخلفه الحضاري، وتراجعه الثقافي، وبعد أن كان الاستشراق يتطلع إلى معرفة علوم الشرق وثقافته، أخذ يتطلع إلى نوع من الوصاية على الشرق وبخاصة الشرق الذي يمثل العالم الإسلامي.**

**وكان يمكن للاستشراق أن يكون أداة للتقارب والتعايش، ومنبرا للتصالح والتساكن بين حضارتين و ثقافتين محكوم عليهما بالتعايش، وبخاصة في الحوض المتوسطي الذي مازال عنوانا للتقارب بين الشرق والغرب، ولكن الاستشراق اندفع بقوة نحو سياسة المواجهة. واختلطت الثقافة بالسياسة، وتداخلت الدوافع والأهداف.**

**وهذا ما أكده الدكتور «إدوارد سعيد» في كتابه «الاستشراق» وقال فيه: بأن الاستشراق ليس مجرد موضوع أو ميدان سياسي ينعكس بصورة سلبية في الثقافة والبحث، وليس مجموعة من النصوص حول الشرق، وإنما هو سلطة كاملة من المصالح التي لا يقوم الاستشراق بخلقها فقط، بل بالمحافظة عليها بوسائل الاستكشاف البحثي، والاستنباء اللغوي، والتحليل النفسي(1).**

**وكانت كلمة «الاستعراب» شائعة قبل ذلك، وتطلق لفظة المستعرب على غير العربي الذي يعيش في ظل دولة عربية وإسلامية، ويعلن ولاءه لحكمها، واعتزازه بثقافتها وتراثها، وربما كانت هذه اللفظة تطلق على المسيحيين غير العرب الذين سكنوا الأندلس، ثم ظهرت لفظة المستشرق في أحضان الكنيسة، عندما اتجه بعض رجال الكنيسة إلى الأندلس لدراسة الفلسفة على يد العلماء المسلمين، ومن أبرز هؤلاء البابا «سلفستر الثاني» الذي كان يحرص على دراسة الكتب المترجمة من العربية إلى اللاتينية في قرطبة.**

**وبعد هذه الفترة، اتجهت الدراسات الاستشراقية تحت تأثير العاطفة المسيحية المعادية للإسلام، وبخاصة بعد سقوط الأندلس، وما أعقب ذلك من اضطهاد المسلمين، الذين كانوا يعيشون في المدن الأندلسية، وتهجيرهم بالقوة إلى الضفة المغربية، وتسميتهم بلفظة «الموريسكيين» تحقيرا لهم، وإذلالا لمشاعرهم.**

**وبعد هذه الفترة أخذت الدراسات الاستشراقية تنمو وتتسع، وأنشئت مدارس للاستشراق، وكراسي علمية لدراسة اللغة العربية والتراث الإسلامي، واهتم المستشرقون بتحقيق التراث العربي والإسلامي، ونشروا المخطوطات النادرة، واهتموا بالديانات والعقائد والطوائف، واكتشفوا الكثير من أمهات الكتب الإسلامية، ويجب أن تعترف بأن المستشرقين خدموا التراث الإسلامي خدمة كبيرة، ووضعوا الفهارس القيمة والمفيدة، لما يوجد في المكتبات من مخطوطات وكنوز تراثية، وأصدروا المجلات العلمية المتخصصة التي أصبحت فيما بعد من المصادر المعتمدة التي يحتج بها في مجال التحقيق العلمي.**

**وقد اختصت كل مدرسة من مدارس الاستشراق الغربي بخصوصياتها ومناهجها، وأخذت تتنافس في ميدان البحث و التحقيق.**

**ومن الطبيعي أنه يمكن تقسيم مدارس الاستشراق بحسب الغاية المرجوة من ذلك التقسيم.**

1. **التقسيم الجغرافي الذي يعتمد على الانتماء الجغرافي، كالمدرسة الفرنسية، والمدرسة الإنجليزية، والمدرسة الألمانية، والمدرسة الإسبانية.**
2. **الموضوعي بحسب التخصص: فهناك من تخصص في اللغات والآداب، ومن تخصص في التصوف الإسلامي، وهناك من تخصص في القرآن والحديث، أو في الفقه وتاريخه ونشأته، وهناك من تخصص في الفقه المالكي.**

**ويمكننا أيضا تقسيم المستشرقين بحسب طبيعة مواقفهم الفكرية، إلى من هو متعصب في مواقفه. حاقد في تكوينه، متحامل في آرائه، وإلى من هو موضوعي في آرائه، ومنصف في مواقفه، يحرص على إبراز الحقائق العلمية بكل موضوعية.**

**منطلقات الاستشراق**

**إن منطلقات البحث في الدراسات الاستشراقية لا تخلو من وجود أخطاء منهجية تتمثل في عاملين:**

**العامل الأول: جهل كثير من المستشرقين بحقائق الإسلام… وهذا الجهل قد أدى بهم إلى كثير من الأخطاء في استنتاجاتهم العلمية.**

**العامل الثاني: الحكم المسبق على الإسلام، وإنكار كثير من المسلمات التي يرتكز عليها الفكر الإسلامي، وبخاصة فيما يتعلق بالوحي والقرآن والسنة والعقيدة.**

**ومن المستشرقين الذين اشتهروا بالدقة والعمق والقدرة على التحليل والاستنتاج.**

**1ـ المستشرق «ماسينبون» المتوفى عام 1962م، وكان من أبرز مستشرقي المدرسة الفرنسية التي اشتهرت بدقة دراساتها، وعمق بحوثها.(2) ولعل هذه المدرسة من أقدم المدارس نظرا لعلاقات فرنسا بالبلاد العربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وأنشئت كراسي علمية في المعاهد والجامعات الفرنسية لدراسة اللغة العربية، والحضارة الإسلامية، وهناك عدد ممن اشتهر في هذه المدرسة من أمثال "بلاشير" و"شارل بيلا" و"جاك بيرك" و"بوسكه" الذي اهتم بدراسة الفقه الإسلامي.**

**2- المستشرق الإنجليزي «أرثر جون أربري» المتوفى سنة 1969م، وقد تأثر بأستاذه «نيكلسون»، وعاش فترة بالقاهرة، وتعلم العربية، واهتم بإعداد فهارس للمخطوطات العربية بجامعة «كمبرردج»، وترجم القرآن، وتعتبر ترجمته أقرب للتفسير لاهتمامه بالمعاني، وهناك «هاملتون جيب» الذي اشتهر بتعصبه وأحكامه المسبقة ضد الإسلام، و"نيكلسون" الذي اهتم بالتصوف العلمي، و"توماس زرنولد" الذي كان معجبا بالإسلام، واهتم بدراسة الحديث والسيرة النبوية، وهؤلاء هم أبرز مستشرقي المدرسة الإنكليزية.(3)**

**3- المستشرق «كارل بروكلمان» المتوفى سنة 1956م، وكان من أشهر مستشرقي المدرسة الألمانية التي عرفت بالجدية والعمق والموضوعية، وبالرغم من أنها بدأت متأخرة إلا أنها استطاعت أن تأخذ موقعها في صدارة المدارس الاستشراقية، وصدرت عدة مجلات عن المؤسسات الاستشراقية الألمانية، من أبرزها مجلة «عالم الإسلام» ومجلة «الإسلام»، التي اهتمت بالتراث الإسلامي.(4)**

**واشتهر «بروكلمان» بعد إصدار كتابه القيم «تاريخ الأدب العربي» الذي ترجم فيه للمؤلفين وللعلماء العرب، وعرف بمصنفاتهم، وذكر أوصافها، ومكان طبعها، ومكان وجودها.**

**واهتم المستشرق الألماني «جوزيف شاخت» المتوفى سنة 1969م بدراسة الفقه الإسلامي، ونشر عدة كتب فقهية من أبرزها كتاب «الحيل والمخارج» للخصاف، وكتاب «الحيل في الفقه» للفزويني، وكتاب «اختلاف «الفقهاء» للطبري.**

**ومن أهم آثاره كتابه «بداية الفقه الإسلامي» الذي درس فيه المذهب الشافعي من خلال كتاب «الرسالة»… وله كتاب آخر بعنوان: «المدخل للفقه الإسلامي» واشتهرت كتاباته بالدقة، وعمق المعرفة، وسعة الاطلاع.(5)**

**ووصف الدكتور عبد الرحمان بدوي المستشرق شاخت بقوله:**

**«كان «شاخت» حريصا على الدقة العلمية في عرض المذاهب الفقهية، وفي دراسة أمور الفقه، مبتعدا عن النظريات العامة والآراء الافتراضية التي أولع بها «جولد زيهر»(6) واهتم المستشرق الألماني «نولد كه» بتاريخ النص القرآني، وألف فيه.**

**موقف الاستشراق من الإسلام:**

**برزت أخطاء المستشرقين واضحة وعميقة في مجال الدراسات الإسلامية، وبخاصة عند دراستهم للنص القرآني، من حيث التوثيق، أو عند دراستهم للمعايير النقدية للسنة النبوية، وقواعد الرواية، ومناهج الجرح والتعديل، كما وقعوا في أخطاء جسيمة عند دراستهم للمعايير النقدية للسنة النبوية، وقواعد الرواية، ومناهج الجرح والتعديل، كما وقعوا في أخطاء جسيمة عند دراستهم للعقيدة الإسلامية، أو لتاريخ الفقه الإسلامي.**

**وسبب تلك الأخطاء هو الموقف الاستشراقي العام من الإسلام والوحي والقرآن والرسالة، فالإسلام في نظرهم ظاهرة بشربة، ويخضع تاريخه ومفاهيمه وتراثه لما تخضع له الظواهر البشرية، من حاجتها لمناهج نقدية تتحكم فيها الرؤية الغربية الرافضة لظاهرة الوحي، والمشككة في الثوابت الإسلامية.ومن اليسير علينا أن نعرف طبيعة الموقف الاستشراقي من خلال تتبعنا الموضوعي لما كتبه المستشرقون عن شخصية الرسول سلى الله عليه وسلم، ومعظم كتاباتهم لم تستطع فهم حقيقة النبوة كرسالة إلهية، داعية البشر إلى تصحيح علاقاتهم بالكون والحياة والمجتمع، وتتمثل شخصية محمد في نظرهم في بروز الخصائص الإنسانية الفاسدة والفروق الاجتماعية ومناصرة الفقراء والمستضعفين.**

**فالمستشرق الألماني "هويرت جريمي" يرى أن محمدا لم يكن يبشر بدين جديد، و إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية، ولم تظهر دعوته كعقيدة دينية، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي، وقد استخدم فكرة الحساب كنوع من الضغط المعنوي لتأكيد دعوته.**

**والمستشرق الإنجليزي «جيب» في كتابه «المذهب المحمدي» يرى أن محمدا ككل شخصية مبدعية، قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به.وفسر المستشرق «درمنجيم» الوعي بأن ليالي صيف الصحراء الباردة تشعر الإنسان بأنه يسمع بصيص ضوئها. وكأنه نغم نار هادئة، يتجلى في قلب مؤمن.**

**وذهب «جوستاف لوبرن» إلى أن مؤسسي الديانات ليسوا من أهل المزاج البارد، وإنما هم من أهل المزاج المتطلع إلى التغيير.(7)**

**ويعتبر المستشرق المجري «جولد زيهر»(8) من أبرز المستشرقين الذين تخصصوا في الدراسات الإسلامية. وكتبوا في العقيدة والشريعة، وفي علوم التفسير والحديث والتصوف، ويعتمد منهجه على الاستدلال، ومحاولة جمع النصوص والمقولات، ثم استنتاج ما يراه ملائما لها مما يوحي به النص الذي يستند عليه، وقد اشتهر بقدرته الكبيرة، في مجال المقارنات واستحضار المعاني المستفادة من النصوص، وهذه المنهجية مكنته من تفسير المواقف الدينية والاختلافات المذهبية بطريقة ملائمة لما يريده.**

**ويعتبر كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام»(9) من أبرز آثاره. وتناول فيه أهم القضايا التي تبحث عن نشأة الإسلام، وتطور الفقه، ونمو العقيدة وتطورها، والزهد والتصوف، والفرق الإسلامية، والحركات الدينية.**

**ويرى «جولد زيهر» أن الإسلام عند اكتمال نموه تظهر فيه ملامح المؤثرات الخارجية، والتيارات الدينية والعوامل الروحية التي وردت عليه من الخارج.**

**وأضافت إليه ثروة جديدة جعلته خصبا في فكره وشموليته.(10) وأن فقهه تظهر فيه آثار القانون الروماني، وتصوفه هو خليط من التيارات الهندية والأفلاطونية الجديدة.**

**أما نظامه السياسي -كما ظهر في عصور الخلفاء- فقد تأثر بالنظريات السياسية الفارسية.(11)**

**ثم يؤكد بعد ذلك أن محمدا لم يبشر بجديد في ميدان الفكر، ولم يأت بجديد فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما فوق حسه وشعوره، وأن آراءه ليست إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والنصرانية، التي تأثر بها ثائرا وصل إلى أعماق نفسه»(12)**

**ومما ذكرناه نلاحظ أن «جولد زيهر» استخدم المنهج العلمي للاستدلال على صفحة أفكاره المسبقة عن الإسلام، ولم يكن منصفا أو موضوعيا في مواقفه، واعتمد على روايات شاذة لتأكيد تلك المواقف التي نلاحظ فيها وضوح محاولته إنكار فكرة الوحي، والتقليل من أهمية العلوم الإسلامية، وإبراز المؤثرات الخارجية في الفكر الإسلامي، وهو فيما ذهب إليه، لم يأت بجديد، ووقع في أخطاء منهجية جسيمة، لأنه أراد التقليل من أهمية استقلالية العلوم الإسلامية.**

**ومن أبرز أخطاء الدراسات والاستشراقية أنها انطلقت من منطلق إلغاء الخصوصيات الإسلامية، وأخضعت المسلمات الإسلامية لمنهج التحليل النقدي المتحيز والمتعصب، ولذلك جاءت معظم هذه الدراسات بعيدة عن الحقيقة العلمية، ومناقضة لمناهج البحث الموضوعي.**

**ويكفي للتأكيد على هذه الحقيقة في معظم الدراسات الاستشراقية في مجال الدراسات القرآنية تلغي الجانب الإلهي في القرآن، وتعتمد على الروايات التي تشكك في جمعه ونسخه وكتابته وقراءته.وفي مجال السنة ألقوا ظلالا من الشك في موضوع الأسانيد، وتناولوا فكرة التدوين.**

**وشكك المستشرق «شاخت» في مدى الارتباط بين النص والفقه، وأعتبر أن المدارس الفقهية الأولى ليست لها علاقة بالقرآن والسنة، وأن الخلفاء هم الذين قاموا بمهمة التشريع… واستدل على ذلك بنمو المدرسة الفقهية في العراق في طلب انتشار ظاهرة الوضع في الحديث.(13)**

**وإذا كانت الدراسات الاستشراقية في مجال الدراسات الإسلامية قد أثارت مشاعر الشك والريبة في نفوس الباحثين المسلمين، لأنها صدمتهم لابتعادها عن الحقائق العلمية في معظم مواقفها، فإنها في نفس الوقت، استطاعت أن تثير الهمم للبحث والدراسة، لمناقشة تلك الآراء والرد عليها، وهذه الحركة العلمية غنت الدراسات الإسلامية بشكل عام، وأسهمت في تطوير مناهج البحث، وساعدت على معرفة الكثير مما كان مجهولا من كتب التراث، وأوجدت حركة علمية جادة في مجال التحقيق العلمي. وبفضل هذا التلاقح والتلاقي نشطت حركة التحقيق، وتنافس الباحثون في البحث عن كتب التراث والمخطوطات المخبوءة في الخزانات القديمة.(14) وازدهرت الكتابات المنهجية التي تناولت أصول نقد النصوص ونشر الكتب.(15) وكتب المستشرقون عن هذا الفن، وأشاد الباحثون بمنهجية الاستشراق في هذا الفن، وبدقتهم وبتحريهم وبأسلوبهم التحليلي، كما ازدهرت بفضل جهود المستشرقين المصنفات الموسوعية والمعجمية التي استطاعت أن تيسر عملية البحث، وتساعد على معرفة الحقائق المتعلقة بالتراث الإسلامي، وازدهرت بفضل جهود المستشرقين حركة التأليف في إعداد المعاجم المفهرسة للأحاديث النبوية والمعاجم اللغوية.**

**ومن أبرز هذه المعاجم كتاب «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن الكتب الستة»، والذي أعده المستشرق الهولندي «فيسينك» ثم تابع زملاءه هذا العمل بعد وفاته، ومنهم «شارل بيلا» و»جوزيف شاخت» ووضعوا تعديلات للأعلام والأماكن والاستشهادات القرآنية، واستمر العمل به لمدة طويلة.ومما ذكرناه، يتضح لنا أن الفكر الاستشراقي أسهم في إغناء الدراسات الإسلامية، وبخاصة في مجال التحقيق العلمي، وفي مجال التراث الإسلامي، وساعد عن خدمة الدراسات الإسلامية في مجال المناهج المعتمدة في البحث والتأليف والتصنيف، واكتشف الكثير من المخطوطات القيمة ووجه عنايته للتعريف بها ونشرها، وهذه آثار لا يمكن التقليل من أهميتها.**

**إلا أنه يجب التأكيد على خطورة ما تضمنته معظم الدراسات الاستشراقية من أفكار وآراء، وما تسرب من هذه الأفكار إلى عدد من الباحثين في مجال الدراسات الإسلامية، من التشكيك في بعض الثوابت والمسلمات، مما ظهر أثره لدى بعض الباحثين المعاصرين.**